

محمد كمال يكتب: لماذا نرفض عسكرة الثورة؟ ينبغي أن يعيها الجميع أن ثورتنا ترتكز



30 مارس 2014

ينبغي أن يعيها الجميع أن ثورتنا ترتكز على أسس استراتيجية تم الاتفاق عليها نهائيًا عقب الانقلاب بأيام قلائل، وأن الحراك الثوري غير قابل للسقوط في هوائية أو مزاجية لكائن من كان.. وأهم مرتكزات هذه الثورة هي السلمية.

ومنذ الأيام الأولى ظهرت النوايا الدموية للعسكر، ومعها تأسست استراتيجية المقاومة، وتأكدت السلمية، وفي إطار السلمية يقبل التحالف كل الإبداعات.

ومن الأسباب التي دعت لانتهاج السلمية كخيار استراتيجي:

أولاً- حرمة الدم:

إذ إن الثورة تقوم على أساس من الهوية الإسلامية التي ترفض الاستهانة بالدم واستباحته، وإلا كان أفراد الشرطة والجيش هدفًا سهلاً وبالمئات يوميًا، فالتجمعات السكنية لهم ولعائلاتهم مشهورة، وحركتهم العملية اليومية تجعلهم هدفًا سهلاً للثوار، والثوار منتشرون بكل أنحاء مصر، ولو نظر عاقل إلى حجم المسيرات وشمولها لأرجاء الجمهورية لتيقن تمامًا أن النهج سلمي خالص، وأن عمليات التفجيرات الصبائية يستحيل نسبتها للثوار.

- أما الأدلة الشرعية فقد فضّلها علماء التحالف في إصدارات نصح باستحضارها دائمًا، لكي يتداولها الثوار، وحتى يراها الذين ما زالوا يطلبون من التحالف تحديد موقعه من العنف!.

ثانيًا- التجربة التاريخية للثورات:

إن تحديد طبيعة الصراع مهم للغاية، فكثيرون يشيرون إلى ثورات مسلحة ناجحة ويعتبرون أن هذا هو الطريق، أو يستلهمون مواقف من السيرة تؤكد رفع السلاح، ومن المهم هنا ضبط القياس ومعرفة الظروف المحيطة تمامًا، وقد رأينا أن صراعنا هو صراع شعب يريد الحرية ضد استبداد عسكري، ورؤيتنا أنهم يرتكزون على (رعب القوة)، لكنهم لا يمتلكون إرادة الاستمرار ولا قواعد شعبية مناضلة معهم، ويعتمدون في ذلك على تزييف وعي الشعب.

إذن فمعركتنا مع وعي الشعب، ومع ضمان قواعد صلبة لاستمرار الثورة، ومع تطوير الثورة لإفشال سيطرتهم على مقاليد الحكم.

- هذه المعركة خاضتها ثورات عديدة وحافظت على سلامة نهجها فحافظت على مسارها الناجح، بل إن بعضها قد انتهج العنف ثم تركه لفشله (مثل إيران وصربيا وجنوب إفريقيا وغيرهم) وقد فصلت ذلك بمقالات سابقة.

- وقد رأينا أن خيارات الثورات لم تكن لتقليل التصحيحات ولا خوفًا من الديكتاتوريات، فكل الثورات بمختلف الأيديولوجيات قدمت تصحيحات، لكن الاختيار كان الأوفق (وراجع للاستزادة الثورة الروسية الأولى، إيران، الفلبين، جنوب إفريقيا بعد تركها السلاح، بولندا).

نالتًا- عدم منح الغطاء للاحتياج العسكري:

ما زالت الشرطة بعقيدتها الفاسدة هي واجهة القمع، وما زال قادة العسكر لا يستخدمون إلا أقل القليل من عناصر الجيش، وما زال الجيش بقيادته الوسطى وجنوده بعيدًا عن الصراع، والمعركة ليست مع الجيش، فالجيش أحد أهم المؤسسات التي ينبغي صونها والحفاظ عليها، وتطهيرها لا يعني هدمها، والثورة على قياداته الفاسدة لا يعني استنعاؤه لحرب أهلية.

- وتسليح الثورة يعني مباشرة منح الغطاء القانوني لقادة الجيش، ونشر فناعة بين جميع عناصره بضرورة مواجهة خطر الحرب الأهلية، ومواجهة مثيريها لحماية الوطن.

- ولا شك أننا جربنا حالة تزييف الوعي للملايين، وبتصور أنه من السهل نقلها للجيش، والذريعة في هذه المرة ستكون قوية إذا رأوا السلاح يهددهم وأن الثورة تعاديهم بأشخاصهم وصفاتهم.

رابعًا- سمعة الجيش التاريخية الطيبة:

لقد كان الجيش المصري دائمًا حاضرًا في الثورات؛ حيث كانت ثورة عرابي، وحركة 52 ، بل ولم يُحمّله الشعب هزيمة 67، وكان نصر رمضان - أكتوبر 73 ردًا للاعتبار بعد حرب استنزاف بطولية بين الهزيمة والنصر.

- وقد رصدت (مجلة الديمقراطية) كيف كان الشعب متقبلًا للدور الخدمي للجيش خاصة أيام (المشير أبو غزالة)، ولم يدر بخلد الجموع أن هذا تسلل إلى السياسة عبر الخدمات.

- والثورة تريد الإبقاء على هذه السمعة، كما لا تريد من القادة الفاسدين أن يستخدموها لخداع الشعب، وأنت ترى كيف يحاولون جعل الثوار (أعداء للجيش)، وبالتالي أعداء للوطن، ويكون هذا مدخلًا للبطش العسكري بالثوار وقبول إبادتهم.

_إنه تحد ثلاثي كبير، (أن نحافظ على سمعة الجيش، وأن نحارب قياداته الفاسدة، وأن تواجه تزييف وعى الشعب بأن الثورة لصالح الوطن والجيش وليست ضده)، فكيف يتم هذا لو حمل الثوار سلاحهم ضد جيشهم؟!

- بل ولا ننسى أن الناس في حالة الالتباس ستقف مع الأقوى الذي يُرجى الاستقرار بدعمه، حتى لو ظهرت أمارات الحق مع الضعيف.

خامسًا: الدعم الإقليمي للعسكر:

هناك ثلاث قوى إقليمية متناقضة هي السعودية وإيران والكيان الصهيوني ، ومصر هي الدولة الوحيدة التي يمكن لهؤلاء الغرقاء أن تجمعهم مصلحة مشتركة فيها بتأييد العسكر ، فالكيان سيكسب من العسكر (ضمان تمدده) بعد أن ضمنت له كامب ديفيد (أمان وجوده)، وإيران ستضمن فك عزلتها الإقليمية والدخول إلى محور التأثير بديلا عن تركيا ، بالإضافة إلى التقدم خطوة في الصراع (السني- الشيعي) بمحاولة الإجهاز على القيادة السنية (الإخوان).

ما السعودية فأهم ما يشعلها هو إيقاف زحف الربيع العربي المهدد لعرشها المرتبك، والذي رُشِّح للسقوط إذا امتد الربيع إليه.

إن هذه القوى (وغيرها) تنتظر اسنساخ التجربة السورية وهم مسلحون بخبرة عالية لاحتلال مربع تأثير مباشر بمصر.

سادسًا: تدويل قضية مصر:

الخبرة الدولية جعلت للحراك الشعبي المسلح (كودا) كالأكواد الهندسية والطبية، يسهل التعامل معه.

- وبمجرد اندلاع الثورة المسلحة، سيجد الثوار السلاح والتمويل من كل مكان، بحيث يقوي الضعيف (الثورة) ليواجه القوي (الجيش)، فتجري معركة مدن والتي من صفاتها الدوام وعدم الانتهاء بالحسم، وهنا تتفرع الجماعات المسلحة وتتناحر، وتدخل على الخط جماعات موالية للعسكر أو لأي طرف إقليمي أو دولي، وبعد سيلان الدماء يتنادى الجميع للتدخل الدولي، فيمتلك المجتمع الدولي حتى يُقبل الجميع قدميه، فيتدخل ليرفع يد الجميع ويأخذ التعهدات على الجميع، وبعد أن يكون الإرهاق قد بلغ مداه بالشعب، وبالثوار يكون الحل الدولي ملتبسًا يضمن استمرار اشتعال الصراع كل فترة، وتكون التهذئة في النهاية لصالح استقرار العسكر ويكون الاختيار الشعبي هو الاستقرار مهما كانت النتيجة (هل أثيرك بالجزائر أم بسوريا أم بليبيا؟) ويكون التفاوض دائمًا بأسقف منخفضة للقضية الوطنية؛ لأن (القضية الإنسانية) سيعلو سهمها؛ حيث لا أرض محتلة ولا ثروات متنازع عليها، فتصبح قضايا الحرية والعدالة الاجتماعية والكرامة الإنسانية قضايا متأخرة؛ لأن الأرواح التي تزهق لن تستمتع بهذه الحقوق أصلًا.

سابعًا: الاستدعاء الخاطئ من الشخص الخاطئ:

الأشخاص الخاطئون هم الذين يتسرعون في تغيير المنهج الذي آمنوا به طوال سنوات عمرهم، (فالتكفير يأتي تحت التعذيب، وعسكرة الثورة تأتي تحت القمع)، وكلاهما نهج يحسبه صاحبه انتقامًا من الخصم، بينما هو يأس من المنهج ونسيان للمعلوم من تضحياته.

- والملاحظ أن المتحفظين للتخلص من السلمية هم مضغوطون برهانات الواقع أو لا يتحملون تضحيات السلمية، فكيف يصمدون في معركة وفتال يكون الضحايا فيه على مدار الساعة، وكلهم من أبناء الوطن وسيكون أغلبهم من الأبرياء، فآلة الحرب لا تفرق بين بريء ومنهم.

كذلك فإن قياسات فاسدة تستدعي لمحاولة تطبيقها على الواقع المصري.

فنرى من يأتي بأقوال مأثورة لقيادات شيشانية باسلة أو أفغانية مقاتلة، أو أقوال جهادية لقيادات تاريخية قالوها لمواجهة احتلال عسكري أجنبي.

كما يتداول البعض السخرية من جملة (إحنا مش زي دولة كذا)، ويتندرون بأنها كلام مبارك عن الثورة التونسية، غافلين بهذه السخرية عن أن التجارب لا تتطابق، تمامًا كما حاول البعض قياس التجربة التركية على مصر ثم رأوا البعد الشاسع بين الظروف والمؤسسات.

- هذه- باختصار شديد- أسباب مهمة تنأسس عليها استراتيجية السلمية، والثورة تفتح ذراعيها لجميع من يتفق مع استراتيجيتها، وتعتذر عنم يربد نهجا آخر.

- انتهجنا طريقًا وثيّدًا، وانتصاراته ماثلة أمام أعيننا ولا نحب أن نشغلك بتعدادها فأنت تعلمها، وهذه بشائرننا بقدم القاتل إلى الساحة السياسية لتبدأ معركة إسقاطه، حتى لا يداري فشله وراء حكومات كرتونية.

مكملين.. لا رجوع.

Mohamedkamal62@ymail.com

www.ikhwanonline.com/180980